

**أسطورة الطوفان إنموذجاً لقراءة تحليلية في
التاريخ المدون**

م.م. سهيلة كاظم مدلول

الجامعة المستنصرية

/كلية التربية الأساسية/قسم الجغرافية

أسطورة الطوفان إنموذجاً لقراءة تحليلية في التأريخ المدون

م.م. سهيلة كاظم مدلول

Abstract

The legend of the flood is one of the oldest stories Which told by people , and was associated with its early history, It is one of the oldest stories that organized as poetry and writing . It is considered one of the most important texts mentioned in various religious books . It was, of course, characterized by local character and ideological tendencies . It contains the pagan load in the pre-divine writings , And is characterized by monotheism in the heavenly books . The first stories that came to us were the story of the Sumerian-Babylonian flood .

المقدمة

تعد قصة الطوفان من أقدم القصص التي رواها الإنسان، وترتبط بتاريخه المبكر، وهي من أقدم ما نظم شعراً وخطاً وكتابة. كما أنها من أهم النصوص التي وردت في الكتب الدينية على اختلافها. واصطبغت، بطبيعة الحال باللون المحلي والنزوع العقائدي. فهي تحمل حمولة الوثنية في مكتوبات ما قبل الأديان السماوية، وتنزع إلى التوحيد في الكتب السماوية، على اختلاف في التصور والتمثل. وأولى القصص التي وصلتنا هي قصة الطوفان السومرية-البابلية.

قصة الطوفان السومرية - البابلية

كانت رواية الطوفان السومرية من الأحداث التي شغلت مكاناً بارزاً في أدب حضارة بلاد الرافدين ومآثرها التاريخية^(١). وهي تؤسس لنا الأسطورة السومرية لأقاصيص الطوفان التي شاعت في المنطقة، كما أسست من قبل لأساطير التكوين. فنص الطوفان الذي تم العثور عليه في خرائب مدينة نمر السومرية، يقدم لنا الخطوط العريضة لكل أساطير الطوفان اللاحقة في بابل وسوريا وبلاد الإغريق، وفي كتاب التوراة^(٢).

لقد اكتشفت جملة نصوص أدبية عن الطوفان في سجلات بلاد الرافدين القديمة المدونة، منها نصوص سومرية وأخرى بابلية. ويمكن حصر النصوص التي تناولت خبر الطوفان في القطع الآتية^(٣):

١- ملحمة زيوسدرا (Ziusudra) في اللغة السومرية.

٢- ملحمة اتراخاسيس (Atrahsis) في اللغة الاكديّة (بلهجتها البابلية).

٣- اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش في اللغة البابلية.

القصة السومرية

النسخة التي تحمل ملحمة أو أسطورة زيوسدرا عثر عليها في تنقيبات مدينة نمر في أواخر القرن التاسع عشر ونشرها السيد ارون بوبل في عام ١٩١٤ ضمن منشورات جامعة بنسلفانيا الأمريكية، ومما يؤسف له أن هذا النص ناقص ولم يبق منه أجزاء كثيرة. فقد أضاع الزمان جزءاً كبيراً من اللوح، إذ ضاع في الكسر، حوالي ستة وثلاثين سطراً في البداية، ومحا الحت كلمات من الحواشي. ولم يسلم عامة، من هذا النص إلا حوالي الثلث الأخير فقط، وقد زاد هذا الضياع صعوبة في حل رموز هذا الأثر السومري الهام. وعليه تستحيل معرفة ما جاء في النص الشعري بدءاً وخلال النص. زيوسدرا بطل

الملحمة يحمل اسماً سومرياً يرجح أن يكون معناه (الخالد) أو (ذو الحياة الطويلة)، مثل معنى الاسم البابلي (أوتنابشتم)، بطل الطوفان في ملحمة جلجامش^(٤). ويبدأ ما بقي من النص بحديث إله من الآلهة إلى آلهة أخرى، عما سيفعل لإنقاذ البشرية من دمار ماحق، ويريد أن يرجع الناس إلى مواطن سكتاهم.

ومن جملة ما تعرض له القصيدة السومرية، خلق الإنسان من قبل مجموعة آلهة؛ منها الإله آنو (Anu) والإله انليل (Enlil) والإلهة ننخرساک (Ninhursag)، والأفلاك والحيوانات. ثم تأتي فجوة في النص بعدها يبدأ النص بالحديث عن مملكة تهبط من السماء إلى الأرض، وعن خمس مدن تقام من جديد، كل منها باسمه، وحلت فيها الملوكية، وهي مدن أريدو وبادتيرا ولرك وسبار وشروباك، وعن توزيع السلطة بين الآلهة ليحكم كل منهم في مدينة معينة. وبعد هذا كسر آخر بحوالي سبعة وثلاثين سطراً. ولعل مضمونه يورد الأسباب التي جعلت الآلهة تقرر الطوفان. ثم يتحدث النص بعد ذلك، عن الحزن الذي أصاب بعض الآلهة بعد هذا القرار الجائر. إذ يورد النص بكاء الإلهة ننتو (Nintu) والإلهة انانا (Inanna) على البشر لما حل بهم من دمار بسبب أحداث الطوفان. ونقرأ كذلك عن عدم رضا الإله أنكي إله (المياه العميقة) على ما أقدمت عليه الآلهة مجتمعة بهذا الخصوص، والذي يعود إليه الفضل في إنقاذ البشرية من دمار كلي محقق كما سنرى في سياق القصيدة^(٥).

بعد ذلك تقدم القصيدة (زيسودرا) أو نوحاً السومري، بطل الملحمة بأنه كان ملكاً صالحاً، يعبد الآلهة ويخافها ويتبع دوماً ما تأمر به، حليماً أو من خلال الأصوات. يظهر من النص أن زيسودرا كان قائماً عند حائط عندما سمع

صوتاً يخبره بقضاء الطوفان. إذ يقوم الإله أنكي بإخباره بقرار الآلهة في

إحداث الطوفان وإفناء البشر، ويهمس له :

« قف عند الحائط إلى جانبي الإيسر،

« وعند الحائط سأبلغك بكلمة، فخذ بكلمتي،

«استمع لإرشادي ووصاياي:

« في (مجمعنا)(؟)...أن طوفاناً سيدمر مراكز العبادة،

« وتهلك ذرية البشر.....^(٦)،

ثم انقطع النص بالكسر (حوالي أربعين سطراً) ويظهر أن محتواه يتضمن

إعلام زيسودرا بما عليه فعله، وبناء فلك عظيم ينجيه... ذلك أننا نقرأ بعد ذلك

بأن الطوفان قد أكتسح الأرض وأنه أستمّر سبعة أيام وسبع ليالي كان خلالها

زيسودرا ومن معه قابعين في سفينتهم وسط الأمواج الهائجة :

وجاءت كل الرياح والعواصف المدمرة

واكتسحت الزوابع العواصم

وبعد أن اكتسحت الزوابع البلاد في سبعة أيام وسبع ليالي

وتأرجحت السفينة مع الرياح المدمرة في المياه العالية

بزغت الشمس، منيرة الأرض والسماء،

ففتح زيسودرا كوة في السفينة الواسعة

وركع الملك زيسودرا أمام إله الشمس

ثم نحر الملك عدداً كبيراً من الثيران والأغنام^(٧) ،

ينقطع النص بكسورٍ أخرى، حوالي تسعة وثلاثين سطراً، ربما هي

وصف لظروف إعداد زيسودرا ليصير شبيهاً بالآلهة، إذا يظهر وهو يسجد أما

الإلهين (أنو) و(انليل) حيث يمنحانه الحياة الخالدة، فيصبح خالداً ويدخل

مجمع الآلهة، وينقل إلى أرض «دلمون»، الموضع الذي تشرق منه الشمس،
ويلي ذلك خاتمة الرواية وهي مخرومة كلها ^(٨):

« فاه » « أن » و « انليل » ب « نفس السماء » و « نفس الأرض »
فانتشر ب

« وظهر النبات والزرع وارتفع،

وظهر «الملك» « زيوسدرا»،

« سجد أمام » « أن » و « انليل »

« واصطفى » « أن » و « انليل » زيوسدرا،

« ووهباه الحياة مثل الإله.

« لقد أدخلنا فيه النفس الخالد مثل إله،

« زيوسدرا»،

« الملك الذي حافظ على الزرع والذي صان ذرية البشر،

« وفي أرض » « العبور » في « أرض دلمون » ، الموضع الذي تشرق منه
الشمس، أسكناه هناك» ^(٩).

هذه هي تفاصيل قصة الطوفان السومرية، كما أوردتها العالم
السومريات الشهير صموئيل نوح كيرمر، في كتابه « التأريخ يبدأ في سومر ». وهو
العالم الهمام الذي عمل بكل ما بوسعه ليثبت أن السومريين، وهم من
جنس غير سامي، كانوا أسبق في كل شيء. إن جهوده المضنية جعلت من
عمله هذا، مرجعاً له أهمية قصوى، في علم السومريات، خصوصاً وأنه قضى
معظم حياته يتجول في مكتبات الدنيا ومواقع الحفريات، يحل رموز المعميات،
ويراجع ترجمات من سبقه في هذا العلم، ونظراً لقيمة الرجل العلمية، نقل كتابه

هذا عن الإنجليزية إلى الفرنسية أربعة مترجمين، وقدم له جين باتيرو مدير قسم الدراسات في جامعة السوربون.

عموماً يظهر من العرض الموجز لتفاصيل قصة الطوفان في النسخة السومرية أنها تتناول بصورة رئيسية ثلاث قضايا أساسية أولها خلق الإنسان (وما تبع ذلك من خلق الحيوانات والنباتات ونشوء المدن) وثانيها حدوث الطوفان الذي أريد به القضاء كلياً على البشر، وثالثها أن هناك منقذاً يقوم ببناء سفينة للنجاة وأنه يكافأ مقابل ذلك بالخلود^(١٠).

من الأكيد أن السومريين أوثروا بعض تراثهم معاصريهم ومجاوريهم البابليين، ومنه قصة الطوفان هذه.

القصة البابلية

تعد ملحمة جلجامش من روائع الأدب البابلي، فهي تأليف أدبي رائع، بين مجموعة نصوص سومرية قديمة تتحدث عن بطل سومري حكم المدة النضرة الأولى التالية للطوفان. فكانت تلك الأفاصيص السومرية نواة بنيت عليها العبقورية الأدبية البابلية درة من درر الأدب القديم، وحملتها الكثير من تصورات الثقافة البابلية، الفكرية والدينية والفلسفية. وإلى جانب نصوص جلجامش السومرية، استفاد البابليون من نص الطوفان السومري فأدخلوه في سياق الملحمة التي جاءت نسيجاً متميزاً في معانيها ومراميها^(١١).

آخر وأحدث نص لهذه الملحمة عثر عليه في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م)، وهي تتألف من اثني عشر لوحاً، كل منها مقسم إلى ستة حقول، ويحتوي كل لوح منها على نحو ٣٠٠ سطر، باستثناء اللوح الثاني عشر الذي يتضمن نصف هذا العدد. عموماً هذا اللوح الأخير لا صلة له بحوادث الملحمة.

جاءت الملحمة في نسختها هذه وهي تحمل عنواناً مقتبساً من أول عبارة فيها، أي : (هو الذي رأى كل شيء)، كما وضع في نهاية كل لوح تذييل بختم المكتبة الملكية وبعنوان السلسلة العام، فمثلاً تم تذييل اللوح التاسع بما يأتي :

- اللوح التاسع من (هو الذي رأى كل شيء) من سلسلة جلجامش.
- قصر آشور بانيبال.
- ملك العالم، ملك بلاد آشور (١٢).

شاع ذكر هذه الملحمة عندما اكتشف البريطاني (جورج سميث) الذي كان يعمل في المتحف البريطاني، اللوح الحادي عشر من هذه الملحمة وحل رموزه (١٣).

إذ من المعروف أن اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش يتناول موضوع الطوفان الذي أجمعت الآلهة على أحداثه لإفناء البشرية. وتدور حوادث هذه القصة في شروباك المدينة التي قامت فيها آخر سلالة قبل الطوفان، وبطل هذه القصة هو أوتنابشتم (Utnapishtim) الذي قصده جلجامش ليسأله عن سر خلوده الأبدي (١٤).

نعرف أن جلجامش، بطل مدينة الوركاء وملكها، ثلثه إله، وثلثاه بشر، قضى حياته في الصيد واللهو والبطش بالناس، منتشياً بقوته الخرافية وطاقته المتفجرة. ثم يتعرف على أنكيو، نده، وتغير الصداقة العميقة التي ربطت بينهما مجرى حياته، فيقرر تحويل قواه وطاقاته للعمل المجدي الذي ينفع الناس، يقوم الصديقان بمغامرات عديدة ذات أهداف سامية، إلا أن أنكيو يموت نتيجة إحدى هذه المغامرات. وهنا يصحو جلجامش على المأساة الحقيقية في حياة البشر. ويهيم على وجهه في الصحاري والبراري، تاركاً عرشه ومملكته باحثاً عن الخلود واكسير

الحياة، يدفع به قدر الإنسان الفاني. فهو رغم ثلثه الإلهي، فان نسبه البشري يشده إلى القدر المشترك لبني البشر.

رغم أن قصة الطوفان في اللوح الحادي من ملحمة جلجامش تبدو للوهلة الأولى وقد أقحمت على أحداث الملحمة، إلا أنها في الواقع، قد جاءت في انسجام تام مع الإيقاع المأساوي للملحمة، وأضافت إليها أبعاداً ومعانٍ خاصة، مؤكدة على أن الخلود سراب لن يناله أحد من البشر^(١٥).

فبعد أن التقى جلجامش بأوتنابشتم روى له الأخير كيف أنه كان يعيش في مدينة شروباك وكيف أن الإله أيا كشف له النقاب عن قرار الآلهة بأحداث الطوفان. ثم يأتي أوتنابشتم بعد ذلك على ذكر تفاصيل بنائه لسفينة النجاة التي حملته ومن معه من بشر وحيوانات وطيور ومؤمن من خلال الطوفان الهائل وكيف أن الآلهة وهبته الخلود في نهاية المطاف^(١٦).

إذ تذكر الملحمة في سياق الحديث بين أوتنابشتم وجلجامش ما يأتي :

« يا جلجامش سأفتح لك سر خفي محجوب
سأطلعك على سر من أقدار الآلهة:
ثم يستطرد بالحديث :

« وتم بناء السفينة في اليوم السابع
وكان انزالها (إلى الماء) أمراً صعباً
فكان عليهم أن يبدلوا الانتقال في الطوابق العلوية والسفلية
إلى أن غطس في الماء ثلثاها
وحملت فيها كل ما أملك
وكل ما عندي من فضة حملته فيها.
وحملت فيها كل ما أملك من ذهب

أركبت في السفينة جميع أهلي وذوي قرياي
وحملت فيها كل ما كان عندي من المخلوقات الحية.
أركبت فيها حيوان الحقل وحيوان البر
وجميع الصناعات أركبتهم فيها
وضرب لي الإله (شمش) موعداً معيناً بقوله :-
« حينما ينزل الموكل بالعواصف في السماء مطر الهلاك
فأدخل في السفينة وأغلق الباب»
وحل أجل الموعد المعين
وفي الليل أنزل الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً
وتطلعت إلى حالة الجو فكان مكفهراً مخيفاً للنظر
فولجت في السفينة وأغلقت بابي
وأسلمت قياد السفينة إلى الملاح (بوزر - أموري)
أعطيته (البناء العظيم) وما يحويه من متاع
ولما ظهرت أنوار السحر
علت من الأفق البعيد (من أسس السماء) غمامة ظلماء
وفي داخلها أردد الإله (أدد)^(١٧).

عموماً استمر الطوفان والأعاصير حسب نص ملحمة جلجامش ستة
أيام وست ليالٍ يكتسح البلاد، وأنه: « عندما حل اليوم السابع، خفت وطأة
الرياح الجنوبية للطوفان في الهجوم الذي شنته كالجيش في المعركة. ثم هدأ
البحر وسكنت العواصف وانتهى الطوفان».

يقول أوتناباشتم أنه تطلع من سفينته إلى الجو بعد هدوء العواصف
والمياه فوجد أن السكون يخيم في كل مكان « وأن البشر جميعاً تحولوا إلى

طين». ثم يصف مشاعره وقد زال عنه الخطر وأصبح قاب قوسين من ساحل النجاة فيقول:

ثم فتحت نافذة (في السفينة) فسقط النور على وجهي

فسجدت وجلست باكياً

والدموع تجري على وجهي

ثم أخذت أتطلع إلى سواحل البحر الواسع

فبانَت الأرض من مسافة ١٢ ميلاً مضاعفاً^(١٨).

ثم يروي كيف أنه ارسل الحمامة فلم تجد مستقراً فأبت، إلى أن أرسل الغراب فلم يعد، وتستمر القصة بعد ذلك شبيه بما جاء في كتاب التوراة.

قصة الطوفان التوراتية

تشغل حادثة الطوفان نصوص سفر التكوين من ٦: ١ إلى ٨: ٢٢

فتبدأ بذكر الأسباب الأخلاقية التي عرضت قوم نوح لعقوبة الإغراق:

وحدث لما ابتدأ الناس يكثرُونَ على الأرض وولد لهم وبنات

إن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا.

فقال الرب: « لا يدين رُوحِي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة».

كان في الأرض طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً- هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم.

ثم تمدح نوحاً وأبناءه بانه كان باراً ، كاملاً في أجياله....

وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب

هذه مواليد نوح: كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله وسار نوح مع الله.

أسطورة الطوفان إنموذجاً لقراءة تحليلية في التأريخ المدون

وولد نوح ثلاثة بنين : ساماً و حاماً و يافث.
وفسدت الأرض أمام الله وامتألت الأرض ظلماً.
ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض.
وتبين أن نوحاً أعلم بخبر الطوفان الذي سيهلك المذنبين من قومه، وأمر ببناء سفينة بهندسة خاصة ينجو فيها هو ومن معه :
فقال الله لنوح : « نهاية كل البشر قد اتت أمامي لأن الأرض امتألت ظلماً منهم فما أنا مهلكهم مع الأرض.
أصنع لنفسك فلكاً من خشب جفراً. تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخلٍ ومن خارجٍ بالقار.
وهكذا تصنعه : ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين ذراعاً ارتفاعه.
وتصنع كواً للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق. وتصنع باب الفلك في جانبه. مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله.
فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح من حياة تحت السماء. كل ما في الأرض يموت.
وقد أعلم بموعد الطوفان :
....لأنني بعد سبعة أيام أيضاً أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة...
ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض
فدخل نوح وبنوه وامراته ونساء بنيه الفلك من وجه مياه الطوفان.
ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض :

دخل اثنان اثنان إلى نوحٍ إلى الفلك ذكراً وأنثى كما أمر الله نوحاً. ولما قام الطوفان أربعين يوماً على الأرض، وتعاضمت المياه كثيراً جداً فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. ومات كل ذي جسد كان يدب على الأرض.

ثم تصف كيف أنهى الطوفان وأين استقرت السفينة : وانسدت ينابيع الغمر وطاقت السماء فامتنع المطر من السماء. ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوالياً. وبعد مئة وخمسين يوماً نقصت المياه وأستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط^(١٩).

أكد النقد التوراتي أن النصوص التوراتية، كما هي عليه اليوم، عبارة عن نصوص مختلفة متداخلة، ضم بعضها إلى بعض، دون مراعاة لتسلسل الأحداث أو المرجعيات، ودون الفصل بين الروايات المختلفة. والروايات أو المصادر التوراتية أربعة على الأقل، هي :

١. المصدر « اليهودي » وفيه استعمل الكتبة والمدونون الذي دونوا التوراة في النص لفظ « يهوه » علماً على اسم الرب.
٢. المصدر « الإلهوي »، وفيه استعملوا لفظ « إلهيم » علماً على اسم الرب. وجمعت أساسيات هذين المصدرين في بدء حكم سليمان.
٣. تثنية الإشتراع، وتورخ بنهاية عهد المملكة. وهي في حقيقة أمرها إعادة لصياغة التشريعات التي نظم موسى بمقتضاها بني إسرائيل في منطقة مؤاب، والمرتفعات التي تتاخم الحدود الشرقية لفلسطين. وهي إعادة نظر في كل التشريعات التي عمل بمقتضاها العبريون في شبه جزيرة سينا، وواحة قديش.

٤. المصدر الكهنوتي، ويتضمن كل التشريعات الكهنوتية الخاصة بالكهنة والهيكل والأحداث التاريخية من الوجهة الطقوسية. واكتملت بنية هذا المصدر في عهد السبي البابلي الثاني في ٥٨٦ ق.م. عموماً لم تتضمن قصة الطوفان من هذه المصادر إلا المصدرين أو الروايتين « اليهودية » والكهنوتي. إن النص التوراتي الشائع بين أيدي عامة الناس هو نص مركب من هذين المصدرين دون أن يشعروا بذلك^(٢٠). نخلص إلى أن التشابه بين النصوص السومرية البابلية التي تذكر حادثة الطوفان ونظيرتها التوراتية كان واضحاً وكبيراً ولا يحتاج إلى كثرة من التمحيص في النصوص للبحث فيها عما خفي من المعاني والنصوص. إذ يبدو واضحاً أن مؤلفي هذه الأسفار قد كتبوا نص الطوفان معتمدين بشكل واضح على أكثر من نص بابلي، مع بعض التعديل والتغيير، ومعظم التعديلات تتعلق بشخصية الإله الرئيسي في الرواية. فبينما تزدهم الرواية البابلية بالآلهة المتناقضة الأهواء والرغبات، يتفرد يهوه بالفعالية الرئيسية في الرواية التوراتية. وفيما عدا ذلك فإن الرواية التوراتية تتبع نفس المخطط العام الذي أسست له السومرية- البابلية^(٢١).

مقارنة بين قصتي الطوفان البابلية والتوراتية

الرواية التوراتية	الرواية البابلية
١٥- وهذا مقدار ما تصنعها : ثلاث مائة درع طولها، وخمسين (وخمسون) عرضها، وثلاثين (وثلاثون) سمكها (ارتفاعها).	... في اليوم الخامس، هيأته (الملك) كانت قاعدته اثني عشر (إيكو) وجوانبه عشر (كار){الكار حوالي ستة أمتار}

أسطورة الطوفان إنموذجاً لقراءة تحليلية في التأريخ المدون

<p>١٦- واصنع بها ضياء (كوى)، وإلى دراع تكملها من العلو. وصير لها باباً في جنبها أسفل، وثواني وثالث (طوابق) تصنعها: (الإصحاح السادس)</p>	<p>ركبته من ستة طوابق وعلى طول كل طابق سبعة مخادع</p>
<p>٨- من البهائم الطاهرة ومن البهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطائر وسائر الداب على الأرض. ٩- أزواج أزواج دخلوا إلى (مع) نوح إلى التابوت ذكوراً وإناثاً كما أمره الله (الإصحاح السابع)</p>	<p>كل ما أملك حملته، كل زرع حي (كائن حي) أصعدت داخل الفلك، أهلي وأقاربي.حيوان الحقل وبهيمة الفيافي، وكل عامل أصعدت....</p>
<p>١٧- وحجب الله دونه وأغلق الله الأبواب خلفه: (الإصحاح السابع) ١٠- ولما كان بعد سبعة أيام، كان الطوفان على الأرض.</p>	<p>دخلت الفلك وغلقت الأبواب ... مع مطلع الفجر ترى في كبد السماء غمام أسود ومن خلفه صاح الإله (أدد)...</p>
<p>١١- ...، في ذلك اليوم، تشفتت عيون الغمر العظيم، وروازن السماء تفتحت(الإصحاح السابع) ١٧- ولما قام الطوفان أربعين يوماً على الأرض،... ١٨- ولما كثر الماء وعظم جداً على الأرض، سارت التابوت على وجه الماء. ١٩- ولما عظم الماء جداً على الأرض تغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء.</p>	<p>لن بعد الأخ أخاه، لن يعرف الإنسان رفيقه الإنسان. وفي السماوات ترتعب الآلهة من طوفان. يفرون ، يصعدون إلى سماء إلى الإله(أمون) سبعة أيام وسبعة ليالي، تسعى الريح، يسعى الطوفان، تجتاح العاصفة البلاد.</p>
<p>١- ذكر الله نوحاً وجميع الوحش والبهائم الذين معه في التابوت، فأمر الله بريح على الأرض سكن بها الماء.</p>	<p>في اليوم السابع تنهزم العاصفة، يتقهقر الطوفان، بعد أن شن حرب العسكر الجامح.</p>

أسطورة الطوفان إنموذجاً لقراءة تحليلية في التأريخ المدون

<p>٢- وانسدت عيون الغمر وروازن السماء وانحبس المطر من السماء.</p> <p>٣- وتراجع الماء عن الأرض كلما مر رجوع (مدأً وجزراً)، ونقص الماء بعد مائة وخمسين يوماً.</p>	<p>يهدأ البحر، يصمت الإعصار، ينقطع الطوفان.</p> <p>عندما أصبح الصباح كان كل شيء هادئاً.</p>
<p>٢١- ونوفى كل بشري داب على الأرض، من طائر إلى بهيمة إلى وحش وسائر الدبيب الداب على الأرض وكل الناس (الإصحاح السابع).</p>	<p>غير أن الأدمي صار حمأً .</p> <p>صارت البسيطة خواء</p>
<p>٦- ولما كان بعد أربعين يوماً، فتح نوح كوة التابوت التي صنعها: (الإصحاح السابع).</p> <p>٤- واستقرت التابوت في الشهر السابع في اليوم السابع عشر منه، على جبل القردا (أراراط).</p> <p>(الإصحاح الثامن).</p>	<p>فتحت الكوة فسقط ضوء النهار على خدي، استرخيت، قعدت، وبكيت.</p> <p>تدحرج الدمع فوق خدي .</p> <p>نظرت نحو اليابسة في أفق البحر، فتزاعت لي جزيرة على بعد اثني عشر ميلاً.</p> <p>استوى الفلك على جبل (نسير) ومرت سبعة أيام</p>
<p>٧- وأطلق الغراب فأقام يخرج ويرجع إلى أن يبس الماء عن الأرض.</p> <p>٨- ثم أطلق الحمامة من عنده لينظر هل خف الماء عن وجه الأرض.</p> <p>٩- فلم تجد الحمامة مستقراً لرجلها فرجعت إليه إلى التابوت، إذ كان الماء على جميع وجه الأرض، فمد يده وأخذها وأدخلها إليه إلى التابوت.</p> <p>١٠- وصبر أيضاً سبعة أيام آخر، وعاد إطلاقها من التابوت.</p>	<p>« في اليوم السابع أخرجت حمامة وأرسلتها.</p> <p>طارت الحمامة وحلقت ثم عادت، لم تجد الحمامة اليابسة تقف عليه فعادت.</p> <p>أخرجت نورساً ثم أطلقته.</p> <p>ذهب النورس ثم عاد، إذ لم يجد موطناً لقدميه عاد.</p> <p>أخرجت غراباً ثم أطلقته. ذهب الغراب</p>

أسطورة الطوفان إنموذجاً لقراءة تحليلية في التأريخ المدون

<p>١١- فجاءت إليه وقت العشاء وإذا بورقة زيتون مقطوعة (طرية) في فيها، فعلم نوح أن الماء قد خف عن الأرض.</p> <p>١٢- وصبر أيضاً سبعة أيام آخر ثم أطلقها ولم تعاود إليه أيضاً...</p> <p>١٤- وفي الشهر الثاني، في اليوم السابع والعشرين منه، جفت الأرض.</p> <p>١٥- وقال الله لنوح(وخاطب الله نوحاً) قائلاً.</p> <p>١٦- أخرج من التابوت أنت وزوجك وبنوك ونساء بنيك معك.</p> <p>١٧ - وجميع الوحوش الذين معك، من كل بشري ومن الطائر والبهائم وسائر الدبيب الساعي على الأرض، وأخرجهم معك ليتوالدوا في الأرض ويثمروا ويكثروا عليها ...</p>	<p>فراى أن الماء انحسر. طعم الغراب وأخذ يحوم ولم يعد. ثم أخرجت كل شيء فصار يمنا ويسرة،</p>
<p>٢٠- وبنى نوح مذبحاً لله، وأخذ من البهائم الطاهرة، وبعض الطائر الطاهر، وقرب صواعد على المذبح.</p> <p>٢١- فقبل الله القربان المرضى... (الإصحاح الثامن).</p>	<p>وقدمت قرباناً، ثم وضعت هدياً على البرج المقدس في قمة الجبل، وسبعة مبخرات وسبعة غيرها، في قعرها نثرت القصب والأرز والآس، صعدت أطايبها نحو الآلهة، فنعمت بالطيب. كالذباب تكأكت الآلهة على القربان.</p>

الخاتمة

هل الطوفان حقيقة أم أسطورة ؟

دعونا ننظر إلى القمر: أطواره الرئيسية هي ظهوره، ونموه، وتناقصه، وغيباه ثم ظهوره. من المعروف أن هذه الأطوار أدت دوراً كبيراً في صياغة فرضيات الدورات الزمنية. إذ يمكن العثور على هذه الأخيرة في أقدم الروى والأساطير التي تحدثت عن أصل الإنسان. والتي يروي فيها أن الجنس البشري عندما يستهلك ويغدو غير ذي نفع (أثمأ، كما نقول نحن الآن)، تضع حداً لوجوده كارثة ما : طوفان، أو فيضان، أو حريق وسوى ذلك من الظاهرات، ثم يولد جنس بشري جديد، من جد ميثولوجي ما عادة، يكون نجا من الكارثة بتدخل من العناية العليا.

ويعد الطوفان من أشهر تنويعات الكارثة وأكثرها شيوعاً، فعدا عن الطوفان التوراتي المعروف، دمر الطوفان الكون حسب الأساطير، في الهند القديمة وسواها من بلدان آسيا، وفي أمريكا وأستراليا، وجزر غينيا الجديدة، وبولينيزيا، وميكرونيزيا وميلانيزيا وغيرها.

وخلاصة القول، أن أساطير الطوفان اشتهرت في كل مكان ما عدا أفريقيا التي لم تتعرف إليها إلا في وقت متأخر وتحت تأثير حركة التبشير المسيحي، وإذا صدقنا الأساطير فان هذا كله تكرر مرات كثيرة، إذن ونظراً لانتشار هذه القصة في كل انحاء المعمورة تقريباً، أعتقد أن حدثاً طوفانياً عم الدنيا في مرحلة من تاريخ الإنسانية، فأصبح مذ ذاك مخزوناً من مخزونات تاريخ البشرية العام. وأعتقد أيضاً أن الطوفان ما كان إلا فيضانياً متكرراً ظل يتوالى على ضفاف الأنهار الكبرى في المعمورة، لذلك صارت أخباره معروفة شائعة. أو أن الطوفان هو عمل متكرر بفعل توالي عهود من البرودة والتجمد

وأخرى من الدفاء، كانت تشمل الدنيا، كما أعتقد الجيولوجيون. وقد يكون هذا وذاك، ولكن ما يهم هنا، هو هل حدث طوفان؟ ولا يعني أكان عاماً أو جزئياً، إن الذي يهم هو أنه أرتبط بحدث عقدي، هو فعل إلهي قومت به الإرادة الإلهية مسار الإنسان، وجددت به الخلق أو بعض الخلق، كما أشرنا في سياق البحث.

في السنوات ١٩٢٩-١٩٣٠ كان العمل على قدم وساق في حفريات تل المقير في مدينة أور برئاسة الأمريكي ليونارد وولي، وفيها عثر على آثار وبقايا مختلفة، ثم فجأة عثر الباحثون على طبقات من الأرض العذراء لا أثر لعلامات إنسانية، وبمتابعة الحفر كانت الأرض لا تخبر إلا بفراغ من آثار الحياة، مرة أخرى المفاجئة، بدأ الأثريون يعثرون من جديد على آثار الإنسان. آثار وبقايا أخرى تختلف صنعاً وعهداً، وتعود لعصر العبيد. عندها علموا أنهم اكتشفوا أمراً عظيماً حدثت به الكتابات القديمة والكتب السماوية : آثار الطوفان^(٢٢).

وهكذا تخبرنا خفايا ما تحت مدينة أور التاريخية بسبر الطبقة الطينية التي تفصل بين عهدين تاريخيين أو حضارتين، وتفصح أيضاً عن تأريخ أور ما قبل الطوفان، أو تزيج السر عن حدث الطوفان، الذي يعود بتاريخه إلى الألف الخامسة ق.م من عصر العبيد^(٢٣).

إذ ثبت الطوفان حقاً وشهدت به آثار باقيات، يبقى السؤال، هل كان هذا الطوفان عاماً شاملاً، قضى على الحضارة الإنسانية بأسرها، باستثناء نوح ومن معه، أم كان جزئياً محلياً ؟ يبدو أن كشوفات السير وولي أظهرت أن الطوفان المذكور هو فيضان عام تضافرت على فعله أنهار دجلة والفرات، وأنه أمتد حوالي ٣٠٠ كم طولاً و ١٦٠ كم عرضاً.

عموماً أن تحديد الفضاء الذي جرى عليه الطوفان لا يؤثر مطلقاً في المغزى الديني الذي رمت إليه الكتب السماوية، من جهة أخرى فإن هذا الفضاء في ذلك الوقت كان يمثل حقاً كل العالم بالنسبة للذين عاشوا هول الكارثة الإنسانية. ثم إن الإشارات الواردة في القرآن للطوفان، نموذجاً للكتب السماوية التي جعلت من الحدث إصلاحاً للبشرية، فإنها تدخل في التفاصيل التي لا أهمية لها بالنسبة للمقصود من نقل الخبر، فالحادثة التاريخية الحقيقية هي الأهم هنا، وبقيّة تفاصيلها لا تعني المتأمل في المعجزة، وإنما تعني المدقق في أخبار التأريخ، ولا تتناقض هنا بين المعتقد والتأريخ.

هوامش البحث :

- (١) - باقر، طه (١٩٧٦). مقدمة في أدب العراق القديم. بغداد، ص ١٧٣.
- (٢) - السواح، فراس (١٩٨٠). مغامرة العقل الأولى. بيروت، ص ١٢٥.
- (٣) - George, A.R (2003).The Babylonian Gilgamesh epic.U.S.A / Kramer,S.N (1969).Ancient Near Eastern texts,1969,p.44ff/ Lambert, W.G, Millared , A.R (1971). Atrahasis ,the Babylonian .story of the flood.Syria,Vol.48.pp.224-228
- (٤) - Mallwan , M(1964). Noah's Flood Reconsidered. Iraq,Vol.26,N.2.p.69 / باقر، طه (٢٠٠٩). ملحمة كلكامش . بغداد/ الأحمد ، سامي سعيد(١٩٨٠). ملحمة كلكامش . بيروت، بغداد/ باقر، طه (١٩٧٦). المصدر السابق الذكر، ص ١٧٤ / حنون، نائل(٢٠٠٩). ملحمة جلجامش. دمشق.
- (٥) - علي، فاضل عبد الواحد(١٩٧٥).الطوفان في المراجع المسمارية. بغداد، ص٢٢ / McDonald,D(199).THE Flood:Mesopotamian Archaeological .evidence.Creation Evolution Journal,Vol,23,PP.14-20

أسطورة الطوفان إنموذجاً لقراءة تحليلية في التأريخ المدون

- (٦) - كريم، صموئيل نوح (١٩٥٧). من الواح سومر الى التوراة. ترجمة طه باقر، بغداد- القاهرة. ص ص ٢٥٦-٢٥٧ / لابات ، رينيه (١٩٨٨). المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين . ترجمة ألبير أبونا، وليد الجادر . بغداد، ص ٢٩ / باقر ، باقر(١٩٧٦). المصدر السابق الذكر، ص ٢١٤.
- (٧) - علي، فاضل عبد الواحد(١٩٧٥). المصدر السابق الذكر، ص ٢٣ / Langdon,S(1915). Sumerian Epic of ,the Flood and the fall of man. Philadelphia. pp.88ff.
- (٨) - باقر، طه.(١٩٧٦). المصدر السابق الذكر، ص ١٧٥.
- (٩) - كريم، صموئيل نوح(١٩٥٧). المصدر السابق، ص ٢٥٨.
- (١٠) - علي، فاضل عبد الواحد(١٩٧٥). المصدر السابق الذكر، ص ٢٤.
- (١١) - حنون، نائل(٢٠٠٦). المصدر السابق الذكر، ص ١٩ وما بعدها/ السواح، فراس (١٩٨١). المصدر السابق الذكر، ص ١٢٨.
- (١٢) - باقر، طه(١٩٧٦). المصدر السابق الذكر، ص ٥٨.
- (١٣) - كريم، صموئيل نوح(١٩٥٧). المصدر السابق الذكر، ص ٢٥١.
- (١٤) - علي، فاضل عبد الواحد(١٩٧٦). المصدر السابق الذكر، ص ٢٨-٢٩.
- (١٥) - كريم، صموئيل نوح (١٩٨٠). هنا بدأ التأريخ. ترجمة ناجية المراني ، بغداد، ص ٩٩-١٠٠ / حنون، نائل(٢٠٠٦). المصدر السابق الذكر، ص ٥١ وما بعدها/السواح، فراس(١٩٨١). المصدر السابق الذكر، ص ١٢٨.
- (١٦) - حنون، نائل(٢٠٠٦). المصدر السابق الذكر، ص ٥٦/علي، فاضل عبد الواحد(١٩٧٥). المصدر السابق الذكر، ص ٢٩.
- (١٧) - علي، فاضل عبد الواحد(١٩٧٥). المصدر السابق الذكر، ص ٩٠.
- (١٨) - علي، فاضل عبد الواحد(١٩٧٥). المصدر السابق الذكر، ص ٩٢-٩٣.
- (١٩) - الكتاب المقدس/ جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية. طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام. البحرين، ٢٠٠٩، ص ٣٦-٤١.
- (٢٠) - شحلان ، احمد(٢٠٠٢). لغات الرسل وأصول الديانات. الرباط ، ص ٨٥-٨٧.

(٢١) - السواح، السواح (١٩٨١). المصدر السابق الذكر، ص ١٤٤.

(٢٢) - Mallwan , M(1964). Noah's Flood Reconsidered.

Iraq, Vol.26, N.2.

(٢٣) - Ibid, p.77-78.

المصادر العربية

- ١- الكتاب المقدس.
- ٢- الأحمد ، سامي سعيد (١٩٨٠). ملحمة كلكاش. بيروت، بغداد.
- ٣- باقر، طه (١٩٧٦). مقدمة في ادب العراق القديم. بغداد.
- ٤- باقر، طه (٢٠٠٩). ملحمة كلكاش. بغداد. (٢٠٠٩).
- ٥- جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (٢٠٠٩). طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام. البحرين.
- ٦- حنون، نائل (٢٠٠٦). ملحمة جلجامش. دمشق.
- ٧- السواح، فراس (١٩٨٠). مغامرة العقل الاولى. بيروت.
- ٨- شحلان، احمد (٢٠٠٢). لغات الرسل وأصول الديانات. الرباط .
- ٩- كريم، صموئيل نوح (?). من الواح سومر الى التوراة. ترجمة طه باقر.
- ١٠- كريم، صموئيل نوح (١٩٨٠). هنا بدأ التأريخ. ترجمة ناجية المراني، بغداد.
- ١١- لابات ، رينيه (١٩٨٨). المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ترجمة ألبير أبونا، وليد الجادر . بغداد. ١٩٨٨.
- ١٢- علي، فاضل عبد الواحد (١٩٧٥). الطوفان في المراجع المسمارية. بغداد.

المصادر الأجنبية

- 1- George ,A.R (2003).,the Babylonian Gilgamesh epic ,with tow volume, Exford.
- 2- Kramer ,S.N (1969).Ancient Near Eastern texts. USA.
- 3- Langdon, S(1915). Sumerian Epic of ,the Flood and the fall of man. Philadelphia.
- 4- Lambert ,W.G, Millared , A.R(1971). Atrahasis ,the Babylonian story of the flood,Syria,vol.4.
- 5- Mallwan , M(1964). Noah's Flood Reconsidered. Iraq,Vol.26,N.2.
- 6- McDonald ,D(1988).The Flood: Mesopotamian Archaeological evidence. Creation Evolution Journal,Vol,23.